

العنوان:	مراسيل الموطأ وبلاغاته بين ابن عبد البر وابن الصلاح
المصدر:	مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بوجدة - المغرب
المؤلف الرئيسي:	فارج، عبد العزيز
المجلد/العدد:	5ع
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1995
الصفحات:	227 - 232
رقم MD:	600450
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	AraBase, HumanIndex
مواضيع:	الإمام مالك ، موقف بن عبد البر من بلاغات الموطأ ، الحافظ بن الصلاح ، الموطأ
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/600450

مراسيل الموطأ وبلاغاته بين ابن عجب البر وابن الصلاح

عبد العزيز فارح
كلية الآداب، وجدة

نشأ الإمام مالك في المدينة المنورة، موطن الرسول صلى عليه وسلم، وموطن صحابته الكرام من المهاجرين والانصار، ومركز الحديث النبوي الشريف فشغف بهذه الثروة الكبيرة ووفق يتردد على مجالس المحدثين من التابعين ويلتزم بعضهم ملازمة كبيرة ليشبع نهمه من الحديث النبوي وينهل منهم العلم والأدب. فعلا كعبه وبلغ شأوا كبيرا في معرفة الحديث ورجاله. وتوج ذلك بتأليفه كتاب الموطأ الذي جمع فيه مجموعة من الأحاديث النبوية مرتبة على الأبواب الفقهية، وقد طلع بدر هذا الكتاب في منتصف القرن الثاني الهجري، في فترة متقدمة جدا، واقتفى اثره عبد الرزاق بن همام في مصنفه وابن أبي شيبه في مصنفه ايضا، بل ان الموطأ - كما قال ابن العربي في مقدمة عارضة الاحوذى «هو الأول واللباب، وكتاب الجعفي (الامام البخاري) هو الثاني في هذا الباب، وعليهما بناء الجميع كالقشيري (الامام مسلم) والترمذي».

ورغم هذه الأولوية التاريخية التي يحظى بها الموطأ، ورغم تبوء الامام مالك المكانة العالية في رواية الحديث، وموضعه من الدين والورع والفهم والعلم، فان كثيرا من المحدثين لم يعتبروا الموطأ من الكتب الصحاح، ولم يدرجوه ضمن الكتب الاصول أي الاصول الستة التي هي الصحيحان والسنن الاربعة (- جامع الترمذي - سنن أبي داود - سنن النسائي - سنن ابن ماجه).

وقد مال بعضهم الى هذا الرأي لكون الموطأ لم يقتصر على الاحاديث المتصلة الصحيحة كما هو الشأن في صحيح البخاري مثلا، وانما اشتمل أيضا على مجموعة احاديث غير متصلة، فنجد فيه مثلا المرسل وهو الحديث الذي سقط من اسناده الصحابي، ونجد فيه المنقطع وهو الحديث الذي سقط من وسط اسناده احد الرواة، ونجد فيه أيضا البلاغات وهي الاحاديث التي يقول فيها الامام مالك بلغني أن رسول الله قال كذا وكذا، أو فعل كذا وكذا.

موقف ابن عبد البر من مراسيل و بلاغات الموطأ:

لقد كان الامام الحافظ ابن عبد البر النمري الأندلسي⁽¹⁾ (368هـ - 463 هـ) واحداً من الذين نهضوا بمهمة شرح أحاديث الموطأ وذلك من خلال كتابه الضخم "التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد"، فقدم بذلك خدمة كبرى للحديث النبوي رواية ودراسة ولموطأ الامام مالك خصوصاً اذ ليس فيهما كتب على الموطأ من شروح ما يضاهيه أو يوازيه لاشتماله على خصائص لم تجتمع في غيره حتى قا الاستاذ الشيخ عبد الله بن الصديق: ان شرح الموطأ كان ديناً على المالكية أداه عنهم الحافظ ابن عبد البر بكتاب التمهيد.⁽²⁾

لقد لاحظ ابن عبد البر أن كل من قصد الى تخريج ما في الموطأ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتصر على المسند، وأضرب عن المنقطع والمرسل رغم إيمانهم بأن مراسيل الموطأ صحاح لا يسوغ لاحد الطعن فيها لثقة ناقلها وأمانة مرسلها.⁽³⁾ وحكى أن من المالكية من يرى أن مراسيل الثقات أولى من المسندات بحجة أن من أسند لك فقد أحالك على البحث ومن ارسل حديثاً مع علمه ودينه وثقته، فقد قطع لك على صحته وكفاك النظر.

ومنهم من يسوي بينهما في وجوب الحجة والاستعمال.

ومنهم من يرى وجوب العمل بالمرسل وان كان للمسند مزية فضل لموضع الاتفاق الذي يحظى به، ولسكون النفس الى كثرة القائلين به.

ويقوم رأي الاحناف على قبول المرسل وعدم رده الا بما يرد به المسند من التأويل والاعتلال على أصولهم في ذلك⁽⁴⁾

وقد أبان ابن عبد البر عن رأيه في الحديث المرسل في أكثر من موضع من كتاب التمهيد وأكد أنه يقبل المرسل، وأن الاصل في هذا الباب اعتبار حال المحدث، فان كان لا يأخذ الا عن ثقة، وهو في نفسه ثقة، وجب قبول حديثه ومرسله ومسنده، وإن كان يأخذ عن الضعفاء، ويسامح نفسه في ذلك وجب التوقف عما أرسله حتي يسمى من الذي أخبره.⁽⁵⁾

وتبعاً لهذا الموقف، صرح مطمئنا القارئ بان من اقتصر على حديث مالك فقد كفي تعب التفطيش والبحث، ووضع يده من ذلك على عروة وثقى لا تنقص، لان مالكا قد انتقد وانتقى، وخلص ولم يرو إلا عن ثقة حجة. وخاطب القارئ قائلاً: "وستري موضع مراسلات كتابه وموضعها من الصحاح لاشتهار في النقل في كتابنا هذا إن شاء الله."⁽⁶⁾

ولهذا تناول ابن عبد البر في كتابه بالدراسة والبحث كل ما تضمنه موطأ مالك بن أنس في رواية يحيى بن يحيى الليثي الأندلسي عنه⁽⁷⁾ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مسنده

ومقطوعه ومرسله، وكل ما يمكن اضافته اليه صلوات الله وسلامه عليه. ولم يقف ابن عبد البر عند هذا الحد، بل راح يبرهن على صحة ما تنباه من أن مراسيل مالك صحيحة، لقد تتبع ما في الموطأ من مراسيل وبلاغات وسائر ما جاء غير متصل الاسناد، فوصل كل مقطوع جاء متصلاً، وكل مرسل جاء مسنداً من غير رواية مالك، وذلك برواياته عن شيوخه واعتماداً على أسانيده الخاص، إلا أربعة بلاغات لم يجد لها إسناداً فتركها كذلك، وهذه البلاغات الأربع هي:

- 1- مالك أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إني لأنسى أو لأنسى لاسن⁽⁸⁾.
- 2- مالك أنه بلغه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: إذا أنشأت بحرية ثم تشامت فتلك عين غديقة⁽⁹⁾.

3- مالك أنه سمع من يثق به من أهل العلم يقول: ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أري أعمار الناس قبله أو ما شاء الله من ذلك، فكأنه تقاصر أعمار أمته ألا يبلغوا من العمل الذي بلغ غيرهم في طول العمر فأعطاه الله ليلة القدر خيراً من ألف شهر⁽¹⁰⁾.

4- مالك أن معاذ بن جبل قال: آخر ما أوصاني به رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وضعت رجلي في الغرز أن قال: أحسن خلقك للناس يا معاذ بن جبل⁽¹¹⁾.

هذه هي الاحاديث الأربعة التي توقف عندها ابن عبد البر واعترف بأنه لم يجد لها طرقاً متصلة، وهي التي استرعت اهتمام الحافظ ابن الصلاح الذي تتبعها في رسالة خاصة. ويستخلص من هذا أمور منها:

- أن الحافظ ابن عبد البر أبان عن إمامته وحفظه في علم الرواية، ومعرفته الواسعة بعلم الرجال، ومكانته السامية التي عز لها نظير في الديار الاندلسية.

- إن الحافظ ابن عبد البر أبان عن أمانة علمية، وإخلاص في خدمة الحديث النبوي، واتباع الحق حيث كان، فالاحاديث التي لم يستطع الوقوف على طرق اتصالها توقف عندها، واعترف بأنه لم يرها في كتاب غير الموطأ.

رسالة ابن الصلاح وتصحيح اعتقاد خاطئ:

ولقد شاع مدة من الزمن ان الحافظ ابن الصلاح قد وصل تلك البلاغات الأربع في رسالة خاصة واعتقد كثير من الناس أنها صحيحة بمجرد أن سمعوا أنه تتبعها وانتهى إلى إثبات اتصال كل ما في الموطأ، وبنوا على اعتقادهم أن احاديث الموطأ كلها صحيحة بمراسيلها وبلاغاتهما، وممن صرح بذلك الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي في كتابه دليل السالك الى موطأ الامام مالك اذ

قال:

وقد رأيت بعض متقني السنن
عزا الي نجل الصلاح أن وصل
من حاز في كل العلوم خير فن
اربعة الاخبار، فالكل اتصل

قولي: "بعض متقني السنن" هو الشيخ صالح الفلاني شهر، العمري نسبة المدني مهاجرا، في حواشيه على شرح زكريا الانصاري على ألفية العراقي عند قوله: ولا يرد موطأ مالك ألخ، فقد قال بعد ان تعقب كلام الحافظ العراقي، وتسليم الحافظ ابن حجر له: "مرود بأن ابن عبد البر ذكر أن جميع بلاغاته ومراسيله ومنقطعاته كلها موصولة بطرق صحاح الا اربعة أحاديث وقد وصل ابن الصلاح الاربعة في تأليف مستقل، وهو عندي، وعليه خطه، فظهر بهذا أن لا فرق بين الموطأ والبخاري، وصح أن مالك أول من صنف في الصحيح كما ذكر ابن عبد البر وابن العربي القاضي والسيوطي ومغلطاي وابن ليون وغيرهم، فافهم".^(1 2)

وباليت الشنقيطي وقف عند حد نقل كلام صالح الفلاني، بل عقب على ذلك فقال: "والعجب من ابن الصلاح رحمه الله كيف يطلع على اتصال جميع أحاديث الموطأ حتى إنه وصل الاربعة التي اعترف ابن عبد البر بعدم الوقوف على طرق اتصالها، ومع هذا، لم يزل مقدما الصحيحين عليه في الصحة، مع أن الموطأ هو أصلها، وقد انتهجا منهجه في سائر صنيعه، واخرجا أحاديثه من طريقه ...

ذلك كان اعتقاد العديد من الناس الى فترة قريبة جدا، حيث قام الشيخ ابو الفضل عبد الله بن الصديق بتحقيق رسالة ابن الصلاح في وصل البلاغات الاربعة، وقد قدم فعلا بذلك - كما أشار - تحفة نادرة للمشتغلين بعلم الحديث عامة وللمهتمين بالموطأ خاصة، فقد تتبع ابن الصلاح في رسالته - كما سبقت الإشارة - الاحاديث الاربعة وأكد أن القول الفصل في ذلك أن هذه الاحاديث الاربعة لم ترد بهذا اللفظ المذكور في الموطأ إلا في الموطأ، ولا ورد ما هو في معنى واحد منها بتمامه في غير الموطأ إلا حديث "إذا انشأت بحرية من وجه لا يثبت، بينما ورد بعض معني حديث ليلة القدر من وجه غير صحيح.

وورد معني الحديثين الباقيين من وجه جيد، أحدهما صحيح وهو حديث النسيان والآخر حسن وهو حديث وصية معاذ رضي الله عنه^(1 3) وقد بين باسانيده الخاصة مختلف الواجه التي رويت منها تلك الاحاديث.

وبهذا يلتقي الحافظ ابن عبد البر والحافظ ابن الصلاح، وتترجح عندهما نتيجة واحدة ولم يكن ذلك وليد الصدفة، وإنما جاء نتيجة التزامهما المنهج العلمي في البحث والدراسة وتمسكهما بالامانة العلمية وشدة التحري والدقة...

الهوامش

- 1- هو حافظ المغرب أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري الاندلسي المشهور بابن عبد البر صاحب التصانيف النافعة كالتمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد والاستيعاب وجامع بيان العلم، والاستذكار...
انظر ترجمته في جنوة المقتبس للحميدي 23 أبيغية الملتبس لأحمد الضبي 489. ترتيب المدارك 87/8 الصلة لابن بشكوال 618/2 الديباج المذهب لابن فرحون 367/2 تنكرة الحافظ 103/2
- 2- التمهيد 6/7
- 3- المصدر نفسه 2/1
- 4- المصدر نفسه 5/1
- 5- المصدر نفسه 17/1-30-30
- 6- المصدر نفسه 10/1
- 7- اعتماد ابن عبد البر على رواية يحيى بن يحيى الليثي كان هو الاصل لكن اذا سقط من روايته حديث من امهات أحاديث الاحكام أو نحوها ذكره من غير روايته، صرح بذلك في مقدمة الكتاب الجزء الاول الصفحة 10. وساق في الجزء السادس الصفحة 89 حديثاً لم يروه يحيى بن يحيى، وانما رواه غيره من رواة الموطأ، وصرح بأنه كره ان يخلي كتابه من ذكره لانه أصل من أصول الفقه
- 8- الموطأ كتاب السهو باب العمل في السهو 100/1
- 9- المصدر نفسه كتاب الاستسقاء باب الاستمطار بالنجوم 192/1
- 10- المصدر نفسه كتاب الاعتكاف باب ما جاء في ليلة القدر 321/1
- 11- المصدر نفسه كتاب حسن الخلق باب ما جاء في حسن الخلق 902/2
- 12- دليل السالك الى موطأ الامام مالك ص 4 وانظر كذلك الرسالة المستطرفة للكتاني ص 5 أو مقدمة الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي للموطأ ص "د" و "هـ"
- 13- رسالة في وصل البلاغات الاربع لابن الصلاح ص 11

المصادر والمراجع

- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر، طبعة وزارة الاوقاف. المغرب
- رسالة في وصل البلاغات الاربع في الموطأ لابن الصلاح تحقيق الشيخ عبد الله ابن الصديق ط1400/1، 1979م دار الطباعة الحديثة - الدار البيضاء.
- الرسالة المستطرفة لمحمد بن جعفر الكتاني ط3 دار الفكر - دمشق
- الموطأ للإمام مالك تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي دار احياء الكتب العربية عيسى البابي وشركاؤه / القاهرة.